

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبیب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### دروس في أصول العقائد

(مباحث المعرفة)

(١٥)

#### ٤- إدراك المحالات والحكم عليها ينسف نظرية خالقية العقل

رابعاً: إن العقل إذا كان هو الخالق لأفكارنا المركبة لكان خالقاً للمحالات الرياضية وغيرها كالدور والتسلسل ووجود العدد اللا متناهي بالفعل - لا اللا متناهي اللا يقفي - ولكان خالقاً للمجموع المركب في جملة (الدور محال) (التسلسل محال) (وجود عدد لا متناهي بالفعل، محال) مع بدهة استحالة اللوازم الستة الآتية ومع بدهة أننا ندرك صدق تلك القضايا الثلاثة السابقة.

وجه الاستحالة: إن الدور . وكذا التسلسل والعدد اللا متناهي بالفعل . يستحيل وجوده في أي صقع وظرف، سواء الخارج أم الذهن، إذ المحال محال بذاته، ولو انه وجد في ظرف ما - ولو كان الذهن - لما كان محالاً، بل يكفي أن من البديهي أن التسلسل لا يوجد في الذهن ولا في الخارج من دون حاجة للاستدلال على ذلك باستلزامه تالياً فاسداً أو غيره.

#### تصور المحال تصور لصورته وليس إيجاداً لواقعه

لا يقال: إننا نتصور (التسلسل) أو نتصور هذه القضية (التسلسل محال) أيضاً؟

إذ يقال: هذا المتصور هو صورة التسلسل أي مجرد عنوان مشير إليه وليس واقع التسلسل ولا مصداقه، أ لا ترى إننا عندما نتصور البحر أو النار أو القمر فإن المتصور هو صورة البحر والقمر والنار وليس مصداق وواقع وحقيقة تلك الأمور وإلا لاحترق الذهن بتصور النار وابتلّ المخ أو الذهن بتصور البحر.<sup>(١)</sup>

وبعبارة أدق: (التسلسل محال) عندما نتصوره ونحكم به فإنه تسلسل بالحمل الذاتي الأولي وليس تسلسلاً بالحمل الشائع الصناعي.

والحمل الذاتي الأولي ملاكته: الاتحاد المفهومي، كما في قولك الإنسان إنسان أو الإنسان بشر، وكقولك: الإنسان حيوان<sup>(٢)</sup> ناطق، والجامع: حمل الذات أو الذاتيات على الذات.

والحمل الشائع الصناعي ملاكته: الاتحاد الوجودي والمصدقي مثل زيد عالم أو أبيض فإن مفهوم زيد غير مفهوم عالم وغير مفهوم أبيض، ولكنهما اتحداً وجوداً (كصفة وموصوف) في زيد.<sup>(٣)</sup>

وحاصل الإشكال: أنه لو صح قوله (ثانياً: أن أفكارنا المركبة - ما عدا أفكارنا عن الجواهر<sup>(٤)</sup> - أي الأحوال والعلاقات تطابق موضوعاتها<sup>(٥)</sup>)، لأنها نماذج من صنع العقل ذاته ولم يكن القصد منها أن تكون نسخاً لأشياء، ولا أن تشير إلى أشياء تعتبر أصولها، ولذلك فلا تفتقر إلى المطابقة الضرورية للمعرفة الحقيقية؛ فإن ما لم يقصد به أن يمثل شيئاً عدا ذاته، لا يمكن أن يطابق شيئاً آخر، بل ولا يمكن أن يوصلنا إلى فهم حقيقي لأي شيء بسبب ما بينهما من اختلاف<sup>(٦)</sup>. ولذلك فهي حقيقية) لكانت فكرتنا عن العدد اللا متناهي بالفعل (وكذا الدور والتسلسل وسائر المحالات) مطابقة لموضوعاتها لأنها نماذج من صنع العقل ذاته)! وكيف يعقل أن يخلق العقل الدور والتسلسل والعدد اللا متناهي بالفعل؟ هذا خلف أي كيف

(١) هذا على الصحيح من أن الحاصل في الذهن هو صور الأشياء المسمى بالعلم الحسولي، عبر انعكاس النور من الأجساد إلى شبكية العين، وليس أن الحاصل فيه هو حقيقة ماهيات تلك الأمور لكن بوجود آخر تنزلي أو بالانقلاب (وقيل بالأنفس وهي انقلبت).

(٢) المراد بالحيوان: جسم نامي حساس متحرك بالإرادة.

(٣) قال الحكيم:

مفهومه اتحاد مفهوم عـرف

الحمل بالذاتي الأولي وصف

وباتحاد في الوجود عـرفاً

وبالصناعي الشائع الحمل صفا

(٤) الجواهر في مقابل الأعراض، كالحجر والشجر والإنسان.

(٥) والظاهر ان مراده أعم من المفرد والجملة والتصور والتصديق أي الموضوع المتصور بنفسه والجملة الخبرية الحكمية. فتأمل لاجراجه الجواهر، لكنه مناقش فيه صغرى كما لعله يأتي.

يخلق العقل ما يستحيل وجوده مطلقاً؟

ويوضحه أكثر أنه لو صح قول شارحه: (وكل أفكارنا عن الحقائق الرياضية والأخلاقية هي من هذا النوع، ففكرتنا عن الحقيقة الرياضية أن زوايا المثلث الداخلية تساوي قائمتين، حقيقة تطابق النموذج الموجود عن المثلث في العقل رغم أنها قد لا تشير إلى أي مثلث في الواقع)<sup>(١)</sup> للزم أن يقال: (ففكرتنا عن الدور محال والعدد اللا متناهي بالفعل محال، تطابق النموذج الموجود عن المثلث في العقل) وهنا نقول: كيف يوجد نموذج قد خلقه العقل (حسب مبناه) عن الدور والعدد اللا متناهي بالفعل؟

### إدراك الشيء أعم من وجوده وعدمه، عكس خلقه

لا يقال: الإشكال بذاته يرد عليكم؟

إذ يقال: كلا؛ فإننا نقول إن العقل يدرك استحالة الدور واستحالة وجود عدد لا متناهي بالفعل (لا أنه يخلقهما) وإدراك الأمر أعم من وجوده وعدمه عكس خلق الشيء فإنه مساوٍ لوجوده وإلا لما كان قد خلقه، وأما إن إدراك الأمر أعم من وجوده وعدمه فلأننا ندرك العدم والعدميات، وندرك بعض ما مضى وانعدم وبعض ما يأتي مما لم يوجد حتى الآن<sup>(٢)</sup>.

والسرّ أن الإدراك للشيء يمكن أن يكون عبر صورته ورسمه واسمه وعنوانه ووجهه، أما الخلق للشيء فلا يعقل أن يكون خلقاً له إذا كان مجرد خلق لصورته، وهل هذا إلا تناقض؟

### تنبيهان عن العدد اللا متناهي وسائر المحالات

تنبيه: العدد اللا متناهي اللا يقفي، ممكن؛ لأنه متناهٍ بالفعل مع صلاحتيه لأن يتزايد بدون توقف، أما العدد اللا متناهي بالفعل أي وجود سلسلة لا متناهية من الأعداد كلها موجودة بالفعل، فإنه محال إذ لو كان بالفعل موجوداً لكان متناهياً محدوداً، ووجود اللامتناهي بين حدّين محال بل انه يناقض نفسه!

تنبيه آخر: النقض عليه ب: العدد اللا متناهي بالفعل محال هو نقض بقضية رياضية وهي التي ادعى أنها مخلوقات للعقل، أما النقض عليه بالدور محال والتسلسل محال وسائر المحالات فإنه نقض بما يلزم كلامه وإن لم يصرح - أو لم يعترف - بكبراه الكلية<sup>(٣)</sup> إذ الفرض أن هذه المحالات - وكقضايا - لا تصل إلى العقل عن طريق الحواس فحينئذ يسأل فكيف علمناها؟ وكيف علمنا كونها حقيقية؟ فلا بد أن يجيب - على مسلكه - ويقول: لخالقية العقل لها، وليس له أن يجيب بمدركية العقل لها إذ إن هذا الجواب يناقض مبناه ومسلكه الحسي العام ولو اعترف به لكان هو المطلوب ويكون قد الغى سوراً من أسوار النظرية الحسية!

### تنبيه: السر في تعميم الإشكال للجواهر المستحيلة

تنبيه ثالث: ان النقض عليه بنفس تصور فكرة الدور أو التسلسل أو العدد اللامتناهي بالفعل هو نقض عليه بما يلزم كلامه، وذلك لأنه على القاعدة يرى مثل هذه الأفكار هي من الجواهر وكما وجدنا فانه قد استثنى الجواهر في صدر كلامه وخصّصه بالأحوال والعلاقات فيختص الإشكال عليه بالشرط الثاني الذي ذكرناه وهو (لكان خالقاً للمجموع المركب...) لكن السر في تعميمنا الإشكال عليه إلى نفس المتصورات المستحيلة هو نفس ما ذكرناه في التنبيه الثاني: (فانه نقض بما يلزم.... الحسيّة).

### ٥- بالدراسة نتعلم الرياضيات، لا بالخالقية

خامساً: إن من البديهيات إننا نتعلم من الأسرة أو المدرسة أو القراءة والمطالعة، أكثر القواعد الرياضية بل شبه المستغرق منها (من هندسة وحساب) وليس إننا نخلقها، فإن من الواضح لكل أنهم تعلموا في المدارس بدءاً من الابتدائية ووصولاً للجامعة مختلف القواعد والمعادلات الرياضية وليس أنهم خلقوا معادلات الجبر والمقابلة أو أنهم حتى خلقوا أن أربعة في أربعة تساوي ستة عشر أو أنهم خلقوا أن زوايا المثلث تساوي قائمتين بل إن القواعد الرياضية كثيراً ما يتعلمها الطلبة بالبرهان من دون أن يكون لهم تصور واضح عن ذاتها وكنهها (بل إنما يتعلمون طريقة استخراج النتيجة من المقدمات) فكيف يكون العقل خالقاً لما يجهل ماهيته وكنهه! **وصلى الله على محمد وآله الطاهرين**

(١) الفلسفة الحديثة عرض نقدي ص ١٧٩.

(٢) وأما القول بان العدم المضاف له حظ من الوجود، ففيه ان المراد به - لدى التحقيق - ان له وجوداً ذهنياً فقط وهو بالحمل الذاتي الأولي عدم مضاف وبالشائع الصناعي وجود ذهني، وليس له وجود في الخارج بأي وجه من الوجوه وإلا لما كان عدما هذا خلف.

(٣) أي باندراجها فيما يخلق العقل.